

اغتراب السوسيولوجيا في المجتمعات العربية

د. نوال زغينة

جامعة باتنة 1

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على عوامل اغتراب السوسيولوجيا في المجتمعات العربية وكيفية تفعيل دورها، من خلال ربطها بظروف التأسيس وما صاحبه من اشكالات، وصعوبة الفصل بين الواقع بأزماته والفكر بمعضلاته، وذلك بتسليط الضوء على مسارات السوسيولوجيا في المجتمعات العربية.

وخلصت الى ضرورة تفويض السلطة للفكر والاعتماد على المناهج الكيفية بجانب المناهج الكمية والانطلاق من واقع المجتمعات العربية لتفسيره كما انتجه الفاعلون الاجتماعيون بتوجهاتهم التي تحمل قيم وثقافة المجتمع قيد التحليل فالظروف التي تمر بها المجتمعات العربية تجعل من هذه الفترة الوقت المناسب لتطوير السوسيولوجيا، في محاولة لتحليل العلاقة بين الفكر والواقع، بين الازواضع الاجتماعية والاقتصادية والصياغات الفكرية التي تبلورت من خلاله.

Abstract

The present study aims to identify the factors of alienation of sociology in Arab societies and how to activate its role through linking it to the incorporation conditions and the accompanying problematic, in addition to the difficulty to separate reality and its crises from thought and its dilemma, through highlighting the trajectories/paths of sociology in Arab societies.

As a conclusion, the study reached the point of the importance of delegating authority to thought and rely on qualitative curricula in addition to the quantitative curricula and to start from the reality of Arab societies to interpret it as it was produced by the social actors who carried the values and culture of the community under analysis. The conditions experienced by the Arab societies make this period an adequate one for the development of sociology, in an attempt to analyze the relationship between thought and reality, between the social and economic conditions and the intellectual formulations that have evolved through it.

مقدمة:

إن قراءة وتحليل التراث السوسيولوجي عند الرواد الأوائل في الغرب يبرز ظهور متطلبات واقع مادي وثقافي يشير إلى وجود أزمة بنائية، هذه الأزمة هي التي كانت سببا في إيجاد علم يهتم بشؤون الأزمة وكيفية تخطيها أو على الأقل التكيف معها وتغيير مسارها لصالح نظام اجتماعي معين، فعلم الاجتماع الغربي ظهر حين أدرك رجال الفكر والفلسفة أن هناك أزمة بناء قد تؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي السائد، من هنا فالسوسيولوجيا تشكلت في ضوء أزمة واقعية تمثل انهيارا للنظام الاجتماعي.

وإذا كان المجتمع الغربي منتج التنظير السوسيولوجي يعاني من أزمة في علم الاجتماع مردها أزمة في النظام، رغم أن ظروف هذا المجتمع وأوضاعه ساعدت على تحويل الأزمة إلى واقع مبدع للعلم الاجتماعي والنظرية السوسيولوجية، تبلورت في تيارات فكرية وإيديولوجية متعددة خلفت محاولات فكرية لتبرير أوضاع المجتمع حيث انعكست أزمة الواقع على مجال الفكر فظهر كم هائل من التصورات السوسيولوجية لفهم ديناميات مشكلات المجتمعات الغربية وتبرير أوضاعه، بدأت بالاتجاهات المحافظة وتطورت إلى النقدية، فإن المجتمعات العربية أزمته من نوع آخر فهي أزمة اغتراب، حيث غياب رؤية نظرية ذاتية ومستقلة معبرة عن تراث هذه المجتمعات، فهي لا تبحث في قضايا الواقع العربي وإنما تقتصر على ترجمة وصياغة الفكر الغربي واستيراد نظريات جاهزة - بكل اشكالاتها- قد تكون غريبة عن الواقع في محاولة لتطبيقه على واقع المجتمعات العربية، مع أن السوسيولوجيا ليست لتطويع تفسيرات واقع الآخرين وإنما هي لتفسير الواقع الاجتماعي كما انتجه

الفاعلون الاجتماعيون بتوجهاتهم التي تحمل قيم المجتمع قيد التحليل وبالتالي السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال:

- ما هي العوامل التي أدت إلى اغتراب السوسيولوجيا في المجتمعات العربية؟ وكيف يمكن تفعيل دورها؟

للإجابة عن ذلك تم التطرق إلى:

- 1- الاطار المفاهيمي: الاغتراب، السوسيولوجيا.
- 2- تأسيس السوسيولوجيا وتعدد الاشكالات (النشأة والتعريف، النظرية، المنهج).
- 3- مسارات السوسيولوجيا في المجتمعات العربية.
- 4- تفعيل دور السوسيولوجيا في المجتمعات العربية.

1. الاطار المفاهيمي: الاغتراب، السوسيولوجيا.

1-1 - مفهوم الاغتراب Aliénation :

لغويا: اغترب تعني ابتعد ونأى أي تغرب وانفصل.

الاغتراب كمفهوم: له دلالات متعددة ويمثل نمطاً من تجربة يشعر بها الإنسان بالغربة سواء عن الذات او عن المجتمع المحيط به، أو المسافة والابتعاد وتهدم البنيات ومعاني الاغتراب متعددة، اجتماعية ونفسية واقتصادية يمكن إجمالها بانحلال الرابطة بين الفرد والمجتمع، أي العجز المادي عن احتلال المكان الذي ينبغي على المرء أن يحتله وشعوره بالتبعية أو معنى الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى،

فيصبح المرء مرهوناً بل وممتلكاً ، وهو ما يولد شعوراً داخلياً بفقدان الحرية والإحباط والانفصال عن المحيط الذي يعيش فيه،¹ وله مظهران:

- الاغتراب بمعنى الارتحال إلى مكان آخر بقصد معين (اغتراب المكان)، وما يصاحب هذا الاغتراب من مشاكل، ومكابدة لتأمين التكيف وهذه الحالة تسبب للمغترب أزمة نفسية مؤقتة حتى يحقق الأهداف التي اغترب من أجلها.

- الاغتراب بالدلالة الوجودية أي عدم فهم الإنسان لما يجري في نفسه وما حوله، ثم عدم مشاركته في التخطيط لحياته ومستقبله، وعدم مشاركته في إدارة شؤون مجتمعه، وقضايا واقعه الذي يعيشه، مما يترتب عليه أن يأتي ناتج جهده عفويا، أو متعارضاً مع اهتماماته، أو مع إمكانياته.

يعرف إحسان محمد الحسن الاغتراب بأنه "الحالة السيكو اجتماعية التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي".² وللاغتراب مضامين منها الانفصال، وانعدام القدرة أو السلطة، وانعدام المغزى وتلاشي المعايير (الانوميا).

2.1 مفهوم السوسيولوجيا:

سوسيولوجيا هي الكلمة الاجنبية Sociology، والتي ظهرت اول مرة عام 1839 في سياق فقرة من الدرس 47 من " دروس في الفلسفة الوضعية" لأوغست كونت، والذي أرغم على ادخال هذه الكلمة المستحدثة، حيث كان يرغب بشدة في اطلاق تسمية " الفيزياء الاجتماعية" على العلم المعني بالمجتمع، لكن سبقه بعدة اشهر اودلف كيتلي بتبني هذا التعبير للدلالة على الدراسة الاحصائية للجماعات البشرية، فكان كونت مجبرا على ايجاد اسم جديد هو السوسيولوجيا وهي كلمة

¹ - جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ت. انسام محمد الاسعد، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2011)، ص.30.

² - احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، (الدار العربية للموسوعات، 1999)، ص.65.

مؤلفة من الجذر اللاتيني socius أي المجتمع والجذر اليوناني logos أي معرفة وبالتالي سوسيولوجيا معناها دراسة المجتمع او علم الاجتماع.¹

ويوجد تعدد واختلاف في تحديد هذا المفهوم وفقا لعوامل سيتم توضيحها فيما بعد ومن بين هذه التعاريف نجد: "دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الانسانية كما تبدوا في الزمان والمكان للتوصل الى قوانين التطور التي تخضع لها هذه المجتمعات الانسانية في تقدمها وتطورها، كما تقوم على الدراسة الموضوعية للظواهر الاجتماعية وتحليلها تحليلا علميا صحيحا".²

وهناك من يعرفها " الدراسة العلمية للمجتمع"، "العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية"، " العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية"، " العلم الذي يدرس ظاهرة التجمع الانساني من حيث اصولها وتطورها واشكالها ووظائفها المختلفة".³

كما أن انتوني غدنز يبين " أن علم الاجتماع يعني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الانسانية، أنه مشروع مذهب وشديد التعقيد لان موضوعه الاساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا فان نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الافراد في الشارع من جهة واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى".⁴

وقد اعتمد مصطلح السوسيولوجيا في هذا المقال بدل علم الاجتماع لأنه يعكس حال الوضع، فعلم الاجتماع لا يعدوا الا ترجمة لمصطلح السوسيولوجيا.

¹ - فيليب كابان و جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية اعلام وتواريخ وتيارات، ت . اياس حسن، (دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ص.21.

² - عامر مصباح، علم الاجتماع الرواد والنظريات (الجزائر: شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ص. 23.

³ - نفس المرجع، ص.ص 24-25.

⁴ - انتوني غدنز، علم الاجتماع، ت. فايز الصياغ، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص.47.

واستنادا على ما سبق فإن التعريف الاجرائي المعتمد هو: يقصد باغتراب السوسيولوجيا في هذا المقال الانفصال عن الواقع والمحيط (المجتمع) والعزلة والعجز والتهميش، أي الدلالة الوجودية على ان السوسيولوجيا غير قادرة على فهم ما يحيط بها وعلى تفسيره والعجز عن الفعل واحتلال مكانتها في المجتمع.

2- تأسيس السوسيولوجيا وتعدد الاشكالات (النشأة والتعريف، النظرية، المنهج).

ان السوسيولوجيا علم ضروري للمجتمع ، يستمد ضرورته من ضرورة الحياة الاجتماعية، على افتراض ان الوجود الاجتماعي للحياة البشرية يحتاج الى تنظيم وتقسيم العمل، واشباع منظم للحاجات، وتنظيم عمليات التفاعل الاجتماعي وفق معايير وقواعد معينة لخدمة مصالح المجتمع، وليس هذا بحكم مسبق فالسوسيولوجيا التي لا تفيد المجتمع لا تستحق ساعة من العناء على حد تعبير اميل دوركايم، فهي مرتبطة مباشرة بالحياة الاجتماعية ومحاولة فهم السلوك الاجتماعي وطريقة تكوين الجماعات وفهم البناء الاجتماعي والتفاعل الوظيفي، وبناء قواعد اجتماعية منسجمة ومقبولة من طرف الافراد والتنبؤ بالأحداث وتوجيهها لخدمة مصالح المجتمع.

وقراءة التراث السوسيولوجي تبين ان علم الاجتماع ظهر في ضوء متطلبات واقع مادي وثقافي يشير إلى وجود أزمة بنائية، ففي حقيقة الامر انه لولا هذا الواقع المتأزم ما كانت الدعوة الى تخصيص علم يهتم بشؤون الازمة وفي هذا السياق التاريخي لوحظ ان الدراسات السوسيولوجية العربية تبنت التوجهات الكبرى المنتشرة في الغرب، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية فالمجتمعات الغربية منتجة التنظير السوسيولوجي تعاني بدورها من أزمة في علم الاجتماع، وبالتالي فالسوسيولوجيا في المجتمعات العربية محملة بكل تبعات واشكالات هذا العلم، مضافا اليه عبء الممارسة وعليه فان فهم واقع السوسيولوجيا في المجتمعات العربية يتطلب تتبع

مسارات تطورها، كون أي مقارنة للسوسيولوجيا عند العرب تتوقف على الفهم الصحيح لشروط تأسيسها الأصلي في الغرب سواء في أوروبا أو أمريكا.

1.2. اشكالية النشأة والتعريف:

سبق المفكر العربي عبد الرحمن ابن خلدون اوجيست كونت بأربعة قرون في اكتشاف علم جديد، حينما كان بصدد اعداد كتاب في التاريخ، وادرك انه لابد من منهج يبين الصادق من الكاذب من الاخبار التاريخية، ومن ثم كانت مقدمته التي يناقش فيها طبائع العمران البشري وقوانين التجمع الانساني وقد اشار ابن خلدون الى ان سابقيه لم يكتبوا في هذا الميدان، وبفرض انهم فعلوا، فان كتاباتهم لم تصل اليه بقوله في مقدمته: "وكان هذا علم مستقل بذاته، فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى"، "واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة"، لقد عالج ابن خلدون في مقدمته معظم القضايا والمشكلات التي تعالج حتى اليوم في اطار السوسيولوجيا، لكن عمل ابن خلدون لم يكتب له الاتصال والاستمرار، لأنه واكب سقوط الحضارة العربية والاسلامية وصعود الحضارة الغربية، يضاف الى ذلك الحواجز اللغوية والثقافية التي اخرجت تعرف المفكرين الغربيين على اعماله وانجازاته ولذلك فان نشأة السوسيولوجيا في الغرب كانت مستقلة عن نشأتها في الشرق.

لقد كانت النشأة الغربية للسوسيولوجيا على يد اوجيست كونت مرتبطة بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي كان يمر بها المجتمع الاوروبي، فولدت السوسيولوجيا ابنة الحداثة من الرغبة في فهم الشأن الاجتماعي والتأثير عليه وقد نمت بشكل مواكب للتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية وهي عن طريق موضوعها انعكاس لعصرها، فليست السوسيولوجيا علما

موحدا فهي منذ بدايتها في سجال* وموزعة في العديد من البؤر وتاريخها بالكامل مرتبط بالأفراد والاستراتيجيات والموروث والمؤسسات.

لقد نشأت السوسيولوجيا في ثلاثة مواطن مختلفة فرنسا، ألمانيا، والولايات المتحدة هذا المنشأ الثلاثي يرتبط بطرائق فكرية مختلفة، فالمدرسة الفرنسية تأثرت بدوركايم وبمقاربتة التفسيرية والموضوعية من خلال إدراج السوسيولوجيا ضمن الحقل الشامل للعلم على نمط العلوم الطبيعية والتركيز على الوقائع الاجتماعية، أما التصور الألماني فهو ثنائي ميز بين علوم الطبيعة وعلوم الروح بين التفسير والاستيعاب ومن روادها فيبر وجورج زيمل وركزت على النشاط الاجتماعي، أما السوسيولوجيا الأمريكية فأهتمت بالتعامل بطريقة امبريقية مع المشاكل المطروحة مع التركيز على المناهج الكمية في التحليل، ورغم هذا التنوع فإن القضايا الكبرى التي تعالجها السوسيولوجيا تتدرج ضمن:¹ الرابط الاجتماعي، الحداثة وطبيعتها، الهيمنة والسلطة، الفعل، العقل ام غياب العقل، بنى المجتمع، التغير.

لقد كان أهم سؤال او اشكالية واجهت الرواد الاوائل في علم الاجتماع هي كيف يكون المجتمع ممكنا؟ وكيف يمكن ايجاد رباط اجتماعي يجمع اعضاء المجتمع لمواجهة مختلف التغيرات والتطورات؟، وما هي العوامل التي تتحكم في تغير المجتمع؟ وكانت البداية طموحة على ايدي الرواد الاوائل بقناعتهم بقدرة علم الاجتماع على ايجاد حلول لكل المشكلات التي تعترض تطور المجتمع وايجاد القوانين التي تسيره، الا ان الجيل اللاحق من علماء الاجتماع كانوا اقل طموحا وتخلصوا من النزعة التنبؤية والاحتمية لصالح نظرة واقعية اتخذت من النسبية وواقع الحياة اليومية وتفاعلاتها اساسا لفهم هذا الواقع المعقد، وقد جسد هذا التوجه ما بعد الحداثة والاتجاهات التفاعلية.

* - تعادل القوة بينهما لا غالب ولا مغلوب.

¹ - لمزيد من التوضيح حول القضايا الكبرى التي تدرس في السوسيولوجيا انظر: فيليب كابان و جان فرانسوا دورتيه، المرجع السابق، ص ص 14-17.

هذا فيما يخص اشكالية النشأة اما عن اشكالية التعريف (والتي تم الاشارة اليها سابقا في تحديد المفاهيم) فيمكن ردها الى:¹

أ- الموقف النظري أو الفكري الذي ينطلق منه التعريف ذاته، كون علم الاجتماع شأنه شأن باقي العلوم الاجتماعية لا يستند الى موقف نظري موحد يجمع عليه كافة المشتغلين به وانما يستند الى مواقف نظرية وفكرية متعددة ومتفاوتة وتعد هذه ضمن مشكلة القيم بشكل عام.²

ب- ان هذه التعريفات تفتقر الشروط العلمية للتعريف، فهي تعرف المجهول بالمجهول بصيغة أخرى انها تعرف السوسيولوجيا من خلال مفاهيم لا تدرك الا من خلال السوسيولوجيا ذاتها، هي تعرف مثلا العلم بالسلوك الانساني او التفاعل او النظام او الظاهرة او المجتمع او البناء الاجتماعي او التغيير....، مع انه لا يمكن تعريف هذه المفاهيم الا من خلال دراسة السوسيولوجيا.

ت- إن هذه التعريفات قد تكون جامعة لكنها ليست مانعة فقد تتداخل مع تعريفات اخرى للعلوم الاجتماعية لاشتراكها في وحدة التحليل الا وهو الفرد والمجتمع .

2.2 اشكالية التنظير:

ويقصد بنظرية علم الاجتماع مجموعة الافكار التي تشكل الفكر السوسيولوجي، وهناك جوانب اختلاف كبيرة بين علماء الاجتماع المعاصرين يمكن فهمها من خلال العودة الى الجذور الاولى التي انطلق منها كل من دوركايم

¹- محمود عودة، اسس علم الاجتماع، (بيروت: دار النهضة العربية، دت)، صص 19-22.
²- ان اتصال السوسيولوجيا بالحياة الاجتماعية وكون المشتغلين بها هم جزء من المجتمع يجعل من الصعوبة التخلص من احكام القيمة والتحرر من الانتماءات القيمية، انظر: محمود عودة، المرجع السابق، ص.20.

وماركس وفيبر لتأسيس منظور ملائم للسوسيولوجيا من خلال الاجابة عن سبعة مسائل أساسية:¹

- مم يتكون المجتمع؟
 - كيف يقوم المجتمع بأداء وظائفه؟
 - لماذا تكون بعض الجماعات في المجتمع اكثر قوة من جماعات اخرى؟
 - ما الذي يسبب التغير الاجتماعي؟
 - هل المجتمع بطبيعته في حالة توازن أو صراع؟
 - ما علاقة الفرد بالمجتمع؟
 - ما الهدف الرئيسي من دراسة علم الاجتماع؟
- وقد ساعدت الاجابة عن تلك المسائل في انتاج ثلاث اتجاهات متميزة للفكر السوسيولوجي أو ثلاث منظورات سوسيولوجية هي:² الوظيفية والماركسية ونظرية الفعل الاجتماعي، وجميع هذه المنظورات بنائية بطبيعتها تختص بكيفية تأثير المجتمع في السلوك الفردي والجماعي بدلا من كيفية تأسيس المجتمع بواسطة الافراد والجماعات (مثلا دراسة تأثير الوضع الاجتماعي للفرد على احتمالات نجاحه في المدرسة....) ، وعلى العكس من البنائية يهتم علم الاجتماع التأويلي بكيفية قيام الافراد والجماعات بتأسيس المجتمع (مثلا يدرس مشاعر الفرد الموسوم بالإجرام أو الجنون أو الغباء في المدرسة...) وللسوسيولوجيا طرق مختلفة لإدراك الحقائق الاجتماعية وتفسيرها، وهي ما يطلق عليها المواقف النظرية أو الرؤى النظرية والتي تعد اساسية للعلم تؤدي وظائف هي:³
- تصنيف الأحداث الواقعية وتنظيمها.

¹ - مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، (مصر: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002)، ص.ص 49-50.

² - لمزيد من المعلومات عن كيفية الاجابة عن الاسئلة السابقة من طرف كل باحث انظر: مصطفى خلف عبد الجواد، المرجع السابق.

³ - محمود عودة، المرجع السابق، ص. 89.

- تفسير أسباب الاحداث التي تقع والتنبؤ بما يمكن ان يحدث في المستقبل في اطار شروط معينة.

- تقديم فهم علمي شامل للقوانين التي تحكم حركة الاحداث في الواقع الاجتماعي.

وعليه يمكن التمييز بين ثلاثة مواقف نظرية اساسية في علم الاجتماع المعاصر هي: البنائية الوظيفية والتفاعلية الرمزية ونظرية الصراع الاجتماعي بالإضافة الى مجموعة اخرى من المواقف التي لا ترقى الى مستوى ممارسة دور بارز في علم الاجتماع المعاصر، وهذا يجعل مهمة السوسيولوجيا صعبة بسبب اختلاف الرؤى والتوجهات الايديولوجية التي ظهرت مع الرواد الاوائل واستمرارها يعكس تعقد المجتمع والظاهرة الاجتماعية، ويبرز نماذج تحليلية وتفسيرية ومقاربات نظرية ومنهجية سعيا لإعطاء صورة حقيقية لما يجري داخل المجتمع وتفسير سلوك وافعال اعضائه والاسباب والدوافع الكامنة التي تحكم الفعل الاجتماعي.

3.2 اشكالية المنهج:

ان المدخل الى دراسة الواقع هو مدخل عقلي، واشكالية المنهج بدأت بانها علاقة العقل بالواقع فهي تدور حول مناهج تحصيل المعرفة، وعلاقة العلم بالمجتمع، واذا كانت الاشكالية المنهجية عند المفكرين السابقين تدور حول تأسيس المنهج على اسس عقلية عند " ديكارت" او تجريبية عند " فرنسيس بيكون" ومواجهة افكار الكنيسة المعادية للعقل والعلم، فان اشكالية المناهج الحديثة ظهرت مع اوجيست كونت (1798-1857)، الذي ذهب في رفضه للفكر اللاهوتي الى التأكيد على ضرورة تبني مناهج العلوم الطبيعية تحقيقا للموضوعية وبالتالي أساس المشكلة هو مركب النقص المبني على تصور ان ادراك صفة العلمية يتوقف على تطبيق

المنهج العلمي، وقد تطورت هذه الرؤية المنهجية عند تلميذه دوركايم حيث أكد في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" على ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء يمكن ملاحظتها كنقطة بدء للعلم.¹

من هنا كانت بداية الازمة، فملاحظة الظواهر الاجتماعية في ذاتها اي مجردة من الافكار التي يكونها الناس لأنفسهم عنها، ودراسة الظواهر من الخارج على انها اشياء خارجية لأنها لا تقع تحت الملاحظة الا على هذه الكيفية، ووصف الظاهرة الاجتماعية بالشيئية حتى تكون قابلة للملاحظة والتجربة هي التي عمقت الخلاف المنهجي وطرحت اشكالات متعددة من بينها ثنائية الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع وصعد هذا الاختلاف الانقسام داخل العلوم الاجتماعية بين من يساند العمل بمناهج العلوم الطبيعية وبين من يؤكد على خصوصية المنهج في العلوم الاجتماعية والتاريخية وقد شغل هذا الخلاف المجتمع العلمي طوال القرن العشرين .

إن رفض المنهجية الوضعية للفكر اللاهوتي والميتافيزيقي وصل الى حد رفضها لكل ما هو فكري وما هو متعلق بالإنسان وحرية من خلال دراستها لعالم الاشياء بدلا من عالم الانسان، وانتماء بعض علماء الطبيعة الى مدرسة علم الاجتماع امثال اوجيست كونت وفلريدو باربيتو، وتبني بعض مقولات العلوم الطبيعية كفرضيات في تحليل الظواهر الاجتماعية، واستخدام مناهج وادوات العلوم الدقيقة في دراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية وطريقة القياس الكمي للعلاقات، في هذه الظواهر والمتمثلة في العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة وقد كانت النتيجة العملية لهذا التوظيف المنهجي، تطور الدراسات التجريبية أو الامبريقية في علم الاجتماع رغم الانتقادات الموجهة لها.

¹ - محمد اسماعيل قباري، اميل دوركايم، (الاسكندرية: منشأة المعارف، 1976)، ص.73.

ان العديد من الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع ترفض المنهج الوضعي، وكان فيلهلم دلتاي (1838-1911) اول من اثار اشكالية العلوم الطبيعية والعلوم العقلية، وقد تطورت هذه الرؤية المنهجية لاحقا عند علماء الاجتماع الالمان الذين اكدوا على الفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، فقد ميز دلتاي بين علوم العقل من جهة التي هي علوم الحياة والتي هي مصدر المعرفة والخبرات والتجارب وتولد العلوم العقلية من حياة الافراد والمجتمعات وتنشأ العلاقة بين الحياة والعلم، فتصبح الحياة موضوع العلم، والعلوم الطبيعية التي تدرس العالم الخارجي من جهة اخرى.

وفي نفس السياق ظهرت دراسة الفيلسوف الالمانى ادموند هوسرل مؤسس الفلسفة الظاهرية الذي كان من اشد المنتقدين للمنهج الوضعي الذي هيمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر باعتباره لا يهتم بالواقع الاجتماعي والانسان من خلال قطعه الصلة بين العلم والحياة اليومية واهتمامه بتقنيات البحث ودقة النتائج اكثر، وانطلق هوسرل في دراسته من تساؤلات اساسية عن ازمة العلوم الاجتماعية وعن اهمية هذه العلوم ما دامت لا تساعد الانسان على التغلب على ازمات الحياة ولماذا لا ترتبط هذه العلوم بالحياة والانسان.

لقد نفت الوضعية باسم الموضوعية الاسئلة المتعلقة بالإنسان وجردته من انسانيته بدراسته على اعتباره اشياء، كما قطعت الصلة بالحياة والقضايا الوجودية للإنسان وهنا اكد هوسرل ان المعرفة العلمية اصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية وهي المكان الذي نبعت منه تلك المعرفة اصلا وعليه تعمل الفلسفة الظاهرية على اعادة تلك الصلة،¹ وقد استخدم علماء الاجتماع هذه الحجة ضد

¹ - ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس (تعريب محمد حسين غلوم)، (الكويت: عالم المعرفة، 1999)، ص. 148.

النظرية الاجتماعية التقليدية وبخاصة ضد الوظيفية البنائية من حيث انها اصبحت منفصلة عن نبض الحياة اليومية.

وتهتم الظاهرية أساسا بدراسة البنى وبعمل الوعي الانساني ومسلمتها الرئيسية ان العالم الذي يعيش فيه الانسان مصنوع في وعيه، كما لا يمكن نكران وجود العالم الخارجي لكن الفكرة هي ان العالم الخارجي لا معنى له الا من خلال وعينا به وعالم الاجتماع لا يهتم بالعالم الا من حيث أنه له معنى، واهتم الفرد شوتر تلميذ هوسرل بمزج أفكار الفلسفة الظاهرية مع علم الاجتماع عبر نقد اعمال ماكس فيبر، حيث حاول ان يبين كيف نبني معرفتنا بالعالم الاجتماعي من خلال تنميط التجارب المضطربة التي لا معنى لها وذلك بتصنيف الخبرات والتجارب على اساس التشابه.¹

وبقيت هذه الخلافات بعد الحرب العالمية الثانية بل وازدادت كما وضع المفكر الفرنسي ليوتارد صاحب نظريات ما بعد الحداثة خاصة بعد انهيار مرتكزات الحداثة المتمثلة في العقل والحرية والتقدم، وجاءت دراسات مدرسة فرنكفورت تعكس واقع معانات روادها من اثار الحرب العالمية الثانية وتعبيرا عن تجارب التهجير والمهجر، ونقدا إيديولوجيا للرأسمالية والشيوعية، ينصب في معظمه حول تركيزها على الانتاج واهمالها للإنسان، ويتضح مما سبق ان اشكالية علم الاجتماع أو الأزمة في علم الاجتماع الغربي ادت الى بروز مجموعة من المدارس والمناهج، كالمناهج الهرمينوطيقي،* والظاهراتي، ومنهج علم اجتماع المعرفة ومنهج

¹- ايان كريب، المرجع السابق، ص. 150.

*- الهرمينوطيقي: يعد المفكر الالماني دلتاي راند هذا المنهج وقد سمي منهج العلوم التاريخية بهذا الاسم ويقصد به منهج التأويل، ومصطلح الهرمينوطيقي يعود الى المصطلح اليوناني HEMENEUEIN الذي يفيد ما معناه تأويل اقوال الالهة، وعليه فالتاريخ يؤول الحقائق التاريخية ويفسرها ويعتبر المنهج الهرمينوطيقي من اقدم المناهج وترجع نشأة هذا المنهج الى المحاولات الاولى لتفسير الكتاب المقدس على يد اللاهوتيين الاوائل، على ان النهضة الكبرى للمنهج الهرمينوطيقي

الفهم الفيبيري ومنهج مدرسة فرنكفورت النقدي، وصولاً إلى نظريات ومناهج المجتمع العالمي.

وتبقى المشكلة الأصلية تكمن في عاملين:¹

- نوعية الظاهرة المدروسة.
- العلاقة بين الباحث وموضوع بحثه (الذاتية والموضوعية).

إن ما يراه البعض إشكالية العلوم الاجتماعية هو ما يميزها عن العلوم الطبيعية، وهي أنها علوم تقويمية إنسانية معبرة عن رؤية واضعيها وأفكارهم، إن الخلافات الحادة بين علماء الاجتماع ليست بين الذين قد يلاحظون بدون تفكير والذين قد يفكرون دون ملاحظة، لكن الخلافات أقرب لأن تكون فيما يتعلق بماهية أنواع التفكير، وماهية أنواع الملاحظة وماهية أنواع الروابط بين الاثنين، أي العلاقة بين التفكير والملاحظة أو بين المنهجين الكيفي والكمي.

وقد شكل الخلاف بين المناهج الكمية والكيفية هوية العلوم الاجتماعية وطورها في الغرب فالمنهج الكيفي بأطيافه المعرفية المختلفة التي تشمل التاريخ والواقع والإنسان والثقافة واللغة والفكر، هو منهج امبريقي وتاريخي ومنهج عالم الحياة والإنسان، منهج قوامه دراسة الإنسان والواقع الاجتماعي بأبعاده المختلفة، وينطوي على خيال منهجي كيفي يستقرئ الواقع، ويقرأ المستقبل، ويدرس الإنسان بمختلف أدواته المعرفية، كالملاحظة بالمشاركة، والمقابلة الحرة والمعقدة، والخطابية، والبؤرية، ومقابلة الخبراء والمحادثة الجماعية،² ومع كل هذا التنوع في

وللمناهج بشكل عام ظهرت في القرن 19 عشر عندما ذهبت المدرسة التاريخية تؤكد على أهمية منهج الفهم في مواجهة المنهج الوضعي، لمزيد من المعلومات انظر:

- عبد القادر عبد الله عرابي، **المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية**، (دمشق: دار الفكر، 2007)، ص. 317-343

¹- عبد القادر عبد الله عرابي، نفس المرجع، ص. 18.

²- انظر: عبد القادر عبد الله عرابي، نفس المرجع، ص. 195-208.

المناهج والنماذج النظرية التي سعت الى فهم حقيقة ما هو اجتماعي تمكن علم الاجتماع في الغرب ان يثبت جدارته ووجوده كمجال معرفي وبدأت الطلبات الاجتماعية تنزايد من قبل المؤسسات والهيئات المختلفة على علماء الاجتماع الذين برهنوا نسبيا على نجاحهم.

3- مسارات السوسيولوجيا في المجتمعات العربية.

واذا كان هذا الحال بالنسبة لعلم الاجتماع الغربي فان واقع الحال بالنسبة للمجتمعات العربية تشير الى وجود مشاكل متعددة ادت الى اغتراب السوسيولوجيا فيها، فقد سعى كثير من المشتغلين بعلم الاجتماع العرب ان يأسسوا لهذا العلم في محاولة لحل الكثير من المعضلات والمشكلات الاجتماعية الا ان المنطلقات لم تكن بقدر الطموحات والبدائيات لم تكن نابعة من اشكالية خاصة بالمجتمعات العربية مثل ما حدث في الغرب عند ظهور علم الاجتماع حيث كان نتيجة لازمة العميقة التي عرفها المجتمع هناك وما خلفته الثورة السياسية والثقافية والاقتصادية، اما في المجتمعات العربية فقد جاءت الدعوة الى ظهور علم اجتماع عربي نتيجة لازمة التي ظهرت في الغرب في السبعينات من القرن الماضي¹ كما عبر عنها عالم الاجتماع فولدر في كتابه "الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي".

ان نشأة وتطور الفكر السوسيولوجي يرتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وما تحويه من علاقات، ومع ان للفكر قدرا من الاستقلال النسبي الذي يبدوا من خلال تقدمه أو تأخره على الواقع الاجتماعي، فالأمر في كلتا الحالتين مرهون بعوامل موضوعية، تجعل الفكر أكثر توضيحا للواقع من أجل

¹ - عبد العالي دبله، مدخل الى التحليل السوسيولوجي، (الجزائر: دار الخلدونية، 2011)، ص.5.

تجاوزه، أو أكثر تزييف له من أجل الحفاظ عليه وهذه مسائل تساعد في فهم مسارات علم الاجتماع في المجتمع العربي، فالأطوار الاجتماعي والاقتصادي الذي ظهرت في رحابه السوسيولوجيا مرتبطة:¹

- الاستعمار وما صاحبه من تبعية وفرض سيطرة ونفوذ على العلم والفكر واستقطاب بعض الجماعات البرجوازية، ورشوة بعض المثقفين، والتحكم في نظم التعليم والبحث العلمي والكتابة والنشر وحتى الممارسة الديمقراطية.

- البناء الاجتماعي للمجتمع العربي، وهو الأساس في كل فهم وتفسير، يعيش أنماط إنتاجية مشوهة، حيث يمكن التمييز بين نشاطين زراعي ورعوي إلى جانب النشاط التجاري والتي تعتمد في الغالب على الملكية الخاصة والتي لم ترقى إلى رأسمالية بالمعنى الذي عرفته أوروبا، وحتى الإصلاحات التي شهدتها هذه المجتمعات كانت مشوهة فلا هي بالرأسمالية بالمعنى المعروف ولا هي بالاشتراكية بالمعنى المفهوم وتوصف في كثير من الأحيان برأسمالية الدولة.

لقد كانت بدايات الدراسات الاجتماعية في المجتمعات العربية عن طريق الاستعمار واستجابة للفضول الأوروبي حول الثقافة و تاريخ شعوب المنطقة من أجل السيطرة عليها و نهب خيراتها الطبيعية كرد فعل على زيادة الطلب على المواد الأولية لسد حاجات الثورة الصناعية، والتنقيب على المقومات الثقافية من أجل تطوير الدراسات الانثربولوجية والاجتماعية لغرض طمس الهويات الثقافية، و بعد

¹ - عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، (الكويت: عالم المعرفة، 1998)، ص.169

الاستقلال سعت هذه الدول الحديثة البنية للاهتمام بعلم الاجتماع خدمة لمصالح الانظمة على حساب النخبة المثقفة والمعرفة، وزاد كل هذا في تهميش العلوم الاجتماعية عامة و علم الاجتماع خاصة فالملاحظ على جهود الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع في المجتمع العربي انها:¹

- 1- البدايات الأولى للمنتج السوسيولوجي كانت من غير المتخصصين الذين اثرت توجهاتهم في هذا العلم تصورا وموضوعا ومهاما، فمثلا مهد نشأة علم الاجتماع في مصر والعراق متخصصون في الفلسفة والقانون والاقتصاد والتاريخ.
- 2- بعد انشاء اقسام علم الاجتماع، تبين أن الأساتذة الاوائل الذين وفدوا لتدريس هذا العلم كانوا من تخصصات متباينة منها الفلسفة والادب العربي والتاريخ والقانون، وقد حاول هؤلاء إرساء هذا العلم وفق خلفيتهم العلمية، لذلك نشأت الاقسام متصلة مع الفلسفة او علم النفس أو الخدمة الاجتماعية.
- 3- الاساتذة الاوائل تلقوا تعليمهم في جامعات اوروبية أو امريكية مما أثر على توجهاتهم، وحتى بعد عودتهم من البعثات ظلوا على صلة بالجامعات الاجنبية التي تعلموا فيها، فكانت معظم اعمالهم اما ترجمات أو مؤلفات معتمدة على مراجع اجنبية، وهذا يفسر سطوة الاتجاهات الوضعية والوظيفية على علم الاجتماع في الوطن العربي.
- 4- ركزت أعمال الرواد في الوطن العربي على ابراز طابع العلم واهميته وضرورة التخصص فيه وبالتالي التركيز على عملية التدريس مما جعل علم الاجتماع في المجتمعات العربية لا يتعدى اسوار الجامعة في الغالب،

¹- عبد الباسط عبد المعطي، المرجع السابق، ص ص 174-175.

فلاشتغال بالتدريس جعل التأليف يرتبط بتسويق الاعمال بين الطلاب، دون الاهتمام بالقيام بأعمال بحثية خارج الجامعة.

5- افضى تعليم المؤسسين لعلم الاجتماع في الوطن العربي حتى مرحلة الجامعة داخل اوطانهم ثم سفرهم الى الخارج لإتمام تعليمهم الى وجود صراع في كتاباتهم وتوجهاتهم، بين قضايا التراث، وقضايا العلم الحديث، فانعكس هذا على اعمالهم التي اتت موزعة بين هذا الانتماء وذلك الاهتمام. إن دراسة اوضاع السوسيولوجيا * في المجتمعات العربية واسباب اغترابها تحتاج الى جهود بحثية من طرف فرق من الباحثين ومجموعة من الجامعات والجهات المسؤولة، وبالرغم من التباين الموجود في علم الاجتماع وفقا لمداخله المختلفة فان هناك نقاط التقاء بشأنه:¹

اولها: السوسيولوجيا تهتم بما هو عام وبنائي وهذا يطرح تساؤلا عن مدى التزام علم الاجتماع في المجتمعات العربية بهذه النقطة ومدى اقترابه أو ابتعاده عنها من منطلق اعمال ودراسات المشتغلين فيه.

ثانيا: اذا كانت الجوانب العامة في المجتمع تعني عمومية الظواهر التي يجب أن تشكل موضوعا للعلم، والتي تدرس بموضوعية وبالتالي ما الذي درسه الباحثون العرب وما هي الموضوعات التي اهتموا بها دون غيرها.

* - عند الحديث عن وضعية السوسيولوجيا في المجتمعات العربية يمكن ان نشير الى وضعية السوسيولوجيا في الجزائر (كنموذج)، فالسوسيولوجيا كممارسة جزائرية لم تأتي الا في مرحلة متأخرة وحتى مؤسسي علم الاجتماع الفرنسيين تحاشوا الخوض في قضايا الجزائر او المغرب العربي ولم تنتقل السوسيولوجيا الى الجزائريين الا عدة سنوات بعد الاستقلال، ويعود السبب الى: غياب الوظائف التي يمكن ان يمارسوها في المجتمع ونقص التقدير لمهنة السوسيولوجي، كما ان السوسيولوجيا كعلم لم توظف في مشروع التنمية في المراحل الاولى بعد الاستقلال ويشير وضع السوسيولوجيا في الجزائر اليوم الى وجود مؤسساتي ومادي يعطي انطباعا مزيفا يتجلى في كثرة الاقسام وعدد المؤطرين والطلبة والكم الهائل من الرسائل والاطروحات والمقالات التي لا تبرح مغادرة رفوف المكتبات وفي المقابل يلاحظ الضعف النوعي في المستوى. انظر: عبد القادر لقعج، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، (الجزائر: دار القصبه للنشر، 2004)، ص.75.

¹ - عبد الباسط عبد المعطي، المرجع السابق، ص.167.

ثالثا: السوسيولوجيا وجدت لأنها تؤدي وظائف في المجتمع وبالتالي ماهي الوظائف التي تؤديها في المجتمع العربي.

رابعا: العلم نشاط انساني هادف وهو نتيجة اجتماع ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وبالتالي الجهد السوسيولوجي يتأثر سلبا أو ايجابا بنمط العلاقات السائدة في المجتمع، وبنمط العلاقات بين الجماعات وحائزي القوة والخاضعين لها وبين المجتمع العربي بأقطاره وبين المجتمع الدولي بتناقضاته ومحصلة كل هذا قد تكون اما اتاحة الفرصة للباحثين لتطوير اعمالهم أو الاحالة دون التقدم خطوة واحدة من خلال استخدام أساليب مفروضة من خارج المجتمع، وحيانا حتى من داخله، هدفها تهميش الباحث احيانا والضغط عليه احيانا اخرى.

لقد بقيت السوسيولوجيا بعيدة عن واقع البيئة الاجتماعية و لم يكن هناك تجاوب مع المشكلات التي تعيشها المجتمعات العربية كالبطالة و الفقر العنف بشتى انواعه وعند كل الفئات و مشكل التنمية و مشاكل الحريات والانحراف والشباب وصراع القيم الذي فرضته العولمة، ووسائل الاعلام والاتصال الحديثة وعلاقتها بالقيم والوعي والثقافة والروابط الاجتماعية وقضايا التنمية والتعليم والمرأة والبيئة... وغيرها من القضايا، وبقيت السوسيولوجيا حكرا على الحقل البيداغوجي، فالباحث العربي في السوسيولوجيا يعيش ازمة انفصام وتناقض وازدواجية فكرية، يجمع بين متناقضات يتعايش بعضها مع بعض، والمحصلة النهائية انه ينفصل عن واقعه فيفصل في تحليلاته بين الواقع بأزماته وبين الفكر ومعضلاته، وقد يكون السبب الرئيسي لهذه الازمة عدم القدرة على التكيف الاجتماعي، نظرا لاجتياح تيار التخلف الثقافي، فيصبح الفرد غير قادر على مواكبة التقدم المادي مع تخلفه الروحي والثقافي، اذ ليس لديه الوقت الكافي لمتابعة هذه التطورات المادية الهائلة، حيث يسير التقدم المادي والتكنولوجي في خطى اسرع بكثير من حركة التقدم الثقافي في جانبه الروحي ومن هنا يتولد الشعور بالقلق، وعدم تكيف الانسان مع ذاته ومجتمعه، نظرا لوجود تخلف ثقافي واضح وفجوة بين تقدم الانسان والمادة.

لقد طرأت تغيرات هائلة على ملامح الحياة الاجتماعية في المجتمعات العربية، يصعب معها القيام بعملية ضبط لهذه السرعة التي لا تتوقف وهذا ما اشار اليه دوركايم في القضية التي اشتهر بها والقائلة: " ان بناء المجتمع الحديث هو مهدد دائما بانهيار داخلي في قواعد التنظيم"¹، ولعل السبب في هذا الانهيار الداخلي لبناء المجتمع الحديث هو تغير قواعد ومعايير التنظيم الاجتماعي، وتحطيم القواعد القديمة، حيث يجد الانسان نفسه مرغما على اتباع انماط جديدة للسلوك، نظرا لزوال قواعد السلوك القديمة، فالظروف التي تمر بها المجتمعات العربية تجعل من هذه الفترة الوقت المناسب لتطوير السوسيولوجيا، في محاولة لتحليل العلاقة بين الفكر والواقع، بين الازمات الاجتماعية والاقتصادية والصياغات الفكرية التي تبلورت من خلاله.

فالتقدم الحقيقي مرتبط بالعقول القلقة المفكرة، حيث صار القلق المعرفي هو سمة العقل الانساني المرتبط بالمناهج الكيفية التي ادى غيابها عن المؤسسات التعليمية العربية الى ازمة في الفكر العلمي المعاصر (العربي)، ذلك ان المناهج الكيفية هي التي تدرس المعرفة وتحللها وتنقدها وهي التي تتبع من المجتمع ذاته فأزمة العلوم الاجتماعية العربية هي أزمة منهجية وفكرية وثقافية، أزمة العقل فالنظريات والمناهج هما عنصران اساسيان في الثقافة يساهمان في تجديدها او جمودها.

فالجمود الثقافي والفكري الذي يحاصر الواقع العربي يعود بالمقام الاول الى العجز عن تجديد مناهج الفكر والمعرفة وغياب التفاعل بين هذه المناهج والتغيرات المجتمعية المحلية والعالمية، فالسوسيولوجيا في المجتمعات العربية، لا تدرس الواقع

¹ - محمد اسماعيل قباري، المرجع السابق، ص.69.

ومن ثم لا يمكن ان تستشرف المستقبل، فهي لا تولد مناهج على مستوى اللحظة التاريخية التي يمر بها المجتمع العربي ولا تستند الى المناهج الكيفية حيث اغفلت اهميتها في تجديد مناهج البحث والفكر والثقافة.

ان معالجة الازمة على مستوى الفكر كانت تعبيراً عن ازمة الواقع، لكنها عولجت وكأنها منفصلة عنه، او ان حل الازمة سوف تخلق واقعا جديدا او تضعه في اطار نموذجي، واستنادا الى رأي الدكتور احمد مجدي حجازي فان معالجة ازمة علم الاجتماع لن تكون الا من خلال الاعتراف بان هذا العلم نشأ كسلاح اديولوجي وتطور كأسلوب من اساليب الهيمنة الغربية التي تتسم في الوقت الراهن بالمصالح الدولية،¹ ونفس الفكرة التي عبر عنها بيار بورديو بقوله ان علم الاجتماع هو المعرفة التي تكشف النقاب عن الصراعات والمصالح والرهانات وهي ليست فقط مصالح الحاكمين بل ايضا مصالح ومكانات رجال المعرفة انفسهم، بمعنى اخر معرفة تكشف عن الكامن والمستتر وعن المسكوت عنه، انه علم نقدي، علم مزعج.

إن الازمة على مستوى الفكر لم تظهر منذ بداية تكوين هذا العلم التبريري، وانما كانت في نشأتها واقعية وانعكست اثارها على مستوى التصور الفكري - وكان هو موطن التبرير الايديولوجي - نظرا لان الواقع يفرز ازمات هي ضد مصالح من كان يحكم هذا الواقع، مما دعا الحاجة الى نشأة النظرية التبريرية للحصول على شرعية من يحكمون،² وربما لذلك كانت الوضعية المذهب الملائم لصالح استقرار

¹ - احمد مجدي حجازي، علم اجتماع الازمة، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص.250

² - احمد مجدي حجازي، نفس المرجع، ص.249.

الاضاع كما هي دون تغيير، وهنا تشكلت اولى النظريات السوسيو-تبريرية للتخصص في معالجة شؤون الحياة الاجتماعية

4. تفعيل دور السوسيولوجيا في المجتمعات العربية:

ان المجتمعات العربية بحاجة في المرحلة الراهنة للسوسيولوجيا لفهم حقيقة ما يجري وايجاد حلول للمشكلات المتركمة، فالسوسيولوجيا في المجتمعات العربية في حالة اغتراب وانفصال عن الواقع ولم تتل الاعتراف الكامل كمجال معرفي خاص قادر على فهم مشاكل وازمات المجتمعات العربية، وتقديم رؤى واستراتيجيات وتصورات ملائمة وحلول حقيقية لهذه المشكلات. وعليه فان علماء الاجتماع والباحثين في المجتمعات العربية مطالبين بإثبات وجودهم وان يتسلحوا بالدقة والموضوعية والوعي واليقظة السوسيولوجية حتى يمكن تجاوز هذه الحالة من التهميش والاغتراب، فمهمة الباحث والعالم السوسيولوجي يجب ان تكون واضحة وان يحتل مكانته الحقيقية، والسوسيولوجيا يجب ان تتال الاعتراف من قبل من بيدهم سلطة القرار وان تتضافر الجهود لتأسيس علم اجتماع الازمة النابع من واقع معاناة المجتمعات العربية في المرحلة الراهنة واذا كان ريمون ارون سنة 1934 يرى ان علم الاجتماع يفتقر الى علماء اجتماع بسبب انهم كانوا ضحايا للحرب العالمية الاولى فان المجتمعات العربية اليوم على العكس من ذلك فهي تفتقر الى علم الاجتماع فما هو قائم اليوم هو علم اجتماع لا مجتمع له ومجتمع ما زال ينتظر علم اجتماعه.

ويندرج في هذا الاطار اهمية احياء علم الاجتماع الخلدوني الحديث على غرار الثنائيات النظرية الموجودة (كلاسيكية / محدثة)¹، والاستفادة من تحليله

¹ - علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية - المحدثة، (قسنطينة/ الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 2007)، ص.248.

للمجتمع ونظريته في العمران البشري حيث يمثل ابن خلدون النموذج النوعي في البحث الاجتماعي والبناء النظري التأسيسي لعلم العمران البشري، والمطلوب من الباحثين العرب تطوير وبلورة هذه الافكار والتأسيس لعلم الاجتماع انطلاقا من بعض افكاره، فمن ليس له تاريخ ليس له مستقبل والتخلص من عقدة الانبهار بالفكر الوافد من الخارج والتقليد.

الخاتمة

ان التخلص من الاوضاع المتأزمة وحالة الاغتراب في السوسيولوجيا داخل المجتمعات العربية، يكون من خلال ارساء قواعد التفكير الاجتماعي المبنية على حرية العقل وتفويض السلطة الكاملة له لممارسة صلاحياته في التفكير العقلاني حول الحياة الاجتماعية دون ان يفتح جبهات للصراع مع الدين الاسلامي، فالمقاربة السوسيولوجية تمكن من فهم الحياة الاجتماعية، وفهم المشاكل العويصة، وبالتالي يتمكن الفرد من التفاعل الاجتماعي مع التغيرات التي تملا حياته وتجعله يدرك السبل التي يجب اتباعها لان يكون في مواقف الفعل الايجابي ويكون ذلك باتباع جملة من الاجراءات منها.

اولا: الاعتماد على المناهج الكيفية جنبا الى جنب مع المناهج الكمية لما لها من مميزات في دراسة وفهم واقع الفاعلين الاجتماعيين كما هو صادر منهم. ثانيا: اهمية العمل على توحيد الصفوف والآراء من اجل الحصول على الاستقلالية وفي ظلها قد يكون الخلق والابداع، حيث يصبح الخيال السوسيولوجي امرا واردا وواقعا نابعا من جذور هذا المجتمع، وهنا فقط ينشأ علم الاجتماع حقيقي غير مزيف.

ثالثا: الحل لا يكمن في الابقاء على حصر البحث في ازمة علم الاجتماع في المجتمعات العربية وانما في الاعتراف بان هذا العلم وجد لحل الازمة اي البحث عن صياغة علم اجتماع الازمة في المجتمعات العربية.

رابعاً: الاستفادة من تجارب الغرب، والابتعاد من فخ النظريات التبريرية التي تخدم مصالح فئة معينة. ومنه الابتعاد عن تسييس علم الاجتماع.

خامساً: الاستفادة من مبادئ الدين الاسلامي باعتباره منهج للحياة، والحذر من الوقوع في فخ الصراع الديني، لبناء نموذج يفسر الحياة الاجتماعية كما هي موجودة في الواقع.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1- حجازي، لحد مجدي، علم اجتماع الأثرية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- 2- الحسن، احسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، 1999.
- 3- دبله، عبد العالي، مدخل الى التحليل السوسيولوجي، الجزائر: دار الخلدونية، 2011.
- 4- عبد الجواد، مصطفى خلف، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مصر: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002.
- 5- عبد لمطي، عبد الباسط تجاهلت نظرية في علم الاجتماع، الكويت: علم لمعرفة، 1998.
- 6- عرلي، عبد القادر عبد الله لمناهج لكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق: دار الفكر، 2007.
- 7- عودة، محمود ، اسس علم الاجتماع، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.
- 8- غربي، علي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية - المحدثه، قسنطينة/ الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 2007.
- 9- قباري، محمد اسماعيل، اميل دوركايم، الاسكندرية: منشأة المعارف، 1976.
- 10- لقجع، عبد القادر، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، الجزائر: دار القصبه للنشر، 2004.
- 11- مصباح، علمر، علم الاجتماع لرواد ونظريات، الجزائر: شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

المراجع المترجمة:

- 12- غدنز، انتوني، علم الاجتماع، ت. فايز الصياغ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.
- 13- فيريول، جيل ، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ت. تسلم محمد الاسعد، بيروت: دار ومكتبة لهلال، 2011.
- 14- كابان، فيليب و دورتيه، جان فرانسوا ، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية اعلام وتواريخ وتيارات، ت . اياس حسن، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- 15- كريب، ايان، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى ها برماس (تعريب محمد حسين غلوم)، الكويت.